مقارنة بين الشاعرين العاشقين ابن الفارض أبي حفص المصري والملا أحمد الجزري الكردي

هل نستطيع أن ندخل هذا العالم عالم التصوف وهو عالم هائج مائج ثار حوله غبار كثير فاعتبره البعض ثورة روحية في الإسلام واعتبره آخرون هرطقة وزندقة وخروجاً عن نظام الشريعة! ولكن هل التصوف نسيج واحد أم هو أوجه متعددة لموجة روحانية زحفت من الشرق من حدود الصين والهند وبلاد فارس وما إليها..إن فلسفة الشريعة فلسفة حركية زاحفة بينما فلسفة التصوف هادئة ساكنة سداها ولحمتها البعد عن الدنيا وبهارجها وقد شاع عن القوم شعارهم: الدنيا جيفةٌ طلابُها كلابٌ!!! وعبر عنه شعراؤهم بصورة جلية وعلى وتر واحد من الزهد والتمنع والتخلي والهروب. ألا يمكن والحالة هذه أن ندعو الصوفية بالرومانسية الإسلامية؟ أم أن هناك مشروعاً آخر يخفى على الكثيرين من وراء هذه الموجة وما هو هذا المشروع؟ سيبين لنا جزء من ذلك في تناولنا السريع والموجز لحياة وشعر وعشق شاعرين متصوفين في معرض مقارنتنا بينهما وبيان أوجه الخلاف والتفارق وأوجه التشابه والتوافق.
هذان الشاعران هما سلطان العاشقين عمر بن علي السعدي المشهور بابن الفارض والآخر هو الشاعر الصوفي الكردي الملا أحمد بن محمد الجزري البوطاني المتلقب ب(نيشاني).
ولد الأول في مصر بالقاهرة سنة 576 هجرية في العصر الأيوبي وتوفي فيها سنة 632 هجرية. نشأ وترعرع في بيئة علم وفقه وتصوف ولما بلغ أشده حبب إليه النهج العرفاني فاشار عليه بعضهم بالرحيل إلى الحجاز حيث محط الأرواح ومهوى الأفئدة في مكة المكرمة فشد إليها الرحال ومكث بها خمسة عشر عاماً بجوار الحرم الشريف يتأمل ويناجي حتى تفجرت ينابيع العبقرية الشعرية في جوانحه قصائد ملتهبة فيها الكثير الكثير من مفردات الحجاز وذكر مطارحها ومجاليها ثم عاد إلى القاهرة ليكمل بقية حياته غير الطويلة في قاعة الخطابة بالجامع الأزهر وتبعه ناس كثيرون وأعجبوا بمشربه ومواهبه وأفكاره الصوفية.. أما الآخر فهو أحمد بن محمد من جزيرة بوطان، متصوف نقشبندي المشرب شافعي المذهب كقرينه لأبي حفص الفارضي تماماً ولكن المقارنة بينهما بطبيعة الحال لن تتم في أوجه المذهب الفقهي ولا الأصل العرقي ولا الإقليم الجغرافي وإن كان لذلك تأثيره الواضح في اللغة الشعرية والاصطلاح الفني لكل من الشاعرين.

يرجح مفتي القامشلي الأسبق الملا أحمد الزفنكي رحمه الله في مقدمة شرح الديوان أن الجزري كان حياً في القرن العاشر الهجري مخالفاً الآراء الأخرى التي تجعل حياته في القرن السادس الهجري معاصراً لقرينه ابن الفارض..وهكذا سنبدأ الآن بالمقارنة الفنية والفكرية والذوقية بين هذين القطبين الجليلين في ساحة العرفان والعشق الإلهي الحميم..لا شك أن بين الشاعرين كونهما رضيعي ثدي واحد هو ثدي التصوف والعشق الإلهي الملتهب نقاطاً من التشابه والتوافق وهي كثيرة ولا شك كذلك أن بينهما نقاط اختلاف وتفارق وهو أمر طبيعي نظراً لاختلاف المؤثرات الثقافية واللغوية واختلاف البيئة الاجتماعية والجغرافية وما إلى ذلك..
أما أوجه التشابه والتوافق فأهمها:
1- فكرة وحدة الوجود التي تنبثق عنها وتتفرع منها فكرة وحدة الأديان

2- فلسفة السكر المتمثلة في أزلية الخمر عند الشاعرين
3- النرجسية والاعتداد بالنفس إلى درجة السلطنة
4- اللغة الرمزية وتشابه القيم العشقية والإيماءات البلاغية
بينما نجد نقاط الاختلاف والتفارق هامشية واقل حدة وهي:
1- الاصطلاح الحضري في التعابير الجزرية يقابله الاصطلاح البدوي العذري عند ابن الفارض
2- التعبير عن النشوة الروحية بالرقص عند الجزري إلى درجة التفرد يقابله غياب مصطلح الرقص عند الفارضي
3- المؤثرات الثقافية عند الجزري الفارسية والعربية معاً بينما ينحصر تأثر الفارضي بالثقافة العربية الإسلامية في منحاها الصوفي طبعاً
4- عاش ابن الفارض في العصر الأيوبي في القاهرة وجزءاً مهماً من حياته في الحجاز(مكة) بينما الجزري عاش في العصر العثماني بجزيرة بوطان..!!
فكرة وحدة الوجود تعنى باختصار أن الوجود كله المنظور وغير المنظور(الغيب والشهادة) هما معاً يمثلان الوجود الكلي متقارنين متداخلين متعانقين لا فرق بينهما إلا في الدرجة فالكون كله جسد والإله روحه ناظرين في ذلك إلى الرواقية اليونانية مرة حيث يرون أن روح الإله منبثة في كل أجزاء الكون..وإلى الأفلوطينية مرة عبر نظرية الفيض الإلهي. وقد عبر الشيخ محي الدين بن عربي عن الفكرة بقوله(سبحان من خلق الاشياء وهو عينها) والحلاج المصلوب قال شيئاً مماثلاً تماماً لقولة ابن عربي في أشعاره وطواسينه ومقولاته منها قوله شعراً:
أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتني وإذا أبصرته أبصرتنا
وشعارهم الذي يلخص الفكرة برمتها هو (لا موجود إلا الله) وهذا بطبيعة الحال محل نظر وتحفظ شديد بل استنكار لدى علماء الظاهر: (ولكل وجهة هو موليها)!
لنذهب أولاً إلى أبي حفص الفارضي ولنسمعه يعزف على هذا الوتر في قصائد متفرقة من ديوانه منها قوله في الميمية:
شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن تخلق الكرم
لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلالٌ وكم يبدو إذا مزجت نجم
وهام بها روحي بحيث تمازجا اتحاداً ولا جرمٌ تخلله جرم!
ولكن التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك هي التي تتضمن بشكل رئيسي كاملَ فلسفته الصوفية من ألفها إلى يائها ويبلغ عدد أبياتها سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً. يقول مرمزاً إلى وحدة الوجود:
تعانقت الأطراف عندي وانطوى بساط السِّوى عدلاً بحكم السويةِ
وعاد وجودي في فنا ثنوية الوجود شهوداً في بقا أحديةِ
فما فوق طور العقل أول فيضةٍ كما تحت طُور النقل آخر قبضة
لذلك عن تفضيله وهو أهله نهانا على ذي النون خير البرية
أما الملا الجزري فيقول في الموضوع عينه:
طورم بدل و?يروى موسايم أز آتش ?رس ونو تجلايم أز
باري ژ (وعلم) كو خبرداري كرين إيرو تو بزان آدمى أسمايم أز
تو ژ نسخه ئى توحيد مخون آيتى نفيى بى آلت إثبات كو إيلام أز
الترجمة:
قلبي طور سيناء وأنا تابع للنبي موسى. إنني عابد النار وأنا نور التجلي الإلهي أيضاً. إن الباري أخبرنا أسرار قوله(وعلم آدم الأسماء كلها) فلتعلم أنني اخترت معاني الأسماء فأنا آدم نفسه. لا تقرأ من نسخة التوحيد وكلمة التوحيد شطر النفي وحده(لا إله) بل أتمم ذلك ب(إلا الله) التي هي أنا.”

يقصد الشاعر نفسه”!!

ويقول من قصيدة أخرى:
يارى كو دي أم كدا دست بدست مه دا
أم بسمايى برن رقص وسما ژي وه ما
كَوته مه دردانه يى أم ژ ته و تو ژ مه يى
لو بحقيقت يكين مسئله بى شبهه ما
وحدت مطلق(ملا) نوره د قلبان جلا
زور د فى مسئلى أهلى دلان شبهه ما
أي:
“إن الحبيبة عندما رأتنا في حال الفقر والمسكنة أخذت بيدنا وجرتنا إلى حلقة الرقص.. وهكذا اندمجنا وبقينا على هذه الحال..وقالت لي تلك الحسناء الدرية: أنا منك وأنت مني فحقيقتنا واحدة وبذلك انحل الإشكال. فيا (ملا) إن الوحدة المطلقة نور تجلى للقلوب. ولكن كثيراً من أهل القلوب قد تشابه عليهم الأمر ولم يدركوا السر.”
هذه المسألة الوجودية الكبرى تتفرع عنها مسألة ضرورية بحسب التصوف تسمى وحدة الأديان وهي المقصود الناتج ضرورة عن فكرة وحدة الوجود فماذا يقصدون بذلك. إن وحدة الأديان أمر متمم للأصل: وحدة الوجود وفحواها أنه لا فرق بين الأديان والملل والمذاهب(فأينما تولوا فثم وجه الله) وقد عبر الشيخ الأكبر محي الدين عن الفكرة تعبيراً بسيطاً وشاعرياً عندما قال من أبيات اشتهرت نسبتها إليه:
لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وألواح توراة وكعبة طائف وآيات إنجيل ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت.... ركائبه فالحب ديني وإيماني
ويقول ابن الفارض معبراً عن هذه الفكرة في التائية الكبرى(نظم السلوك):
وما زاغت الأبصار من كل ملة وما راغت الأفكار في كل نحلة
وما اختار من للشمس عن غرة صبا وإشرافها من نور إسراف غرتي
وإن عبد النارَ المجوسُ وما انطفت كما جاء في الأخبار في ألف حجة
فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم سواي وإن لم يظهروا عقد نية
رأوا ضوء نوري مرة فتوهموه ناراً فضلوا في الهدى بالأشعة
ويقول (الملا) على النمط نفسه وفي الفلك ذاته من قصيدة يمدح بها النبي محمداً(ص):
دا شاهدى أسما بهمي وجهي بناسين يك مستى صمد كر، بيكي نقشي صنم دا
يك كَرتيه زلفي ويكي خال نمائي آيينه باسكندري وجام بجم دا
أي لكي يعرف الناس مظاهر التجلي الإلهي بكل وجه وصورة فإنه أسكر البعض بالمحبة الصمدانية وحبب إلى البعض النقوش الصنمية والتماثيل الوثنية وعلق البعض بضفائر الحسان البشرية وشامات الخدود الدرية وأعطى المرآة للاسكندر لكشف الغوامض الفلكية والكأس السحرية لجمشيد فارس لتعكس له المسافات البعيدة القصية!! وهكذا فإن فكرتهما عن وحدة الوجودستبعث بالضرورة فكرة وحدة الأديان وعلماء الظاهر لا يقبلون البتة

هذه المقولات والدعاوى.
وإذا أردنا أن نغرف من ينابيع هذه الفكرة الجبرية وجب أن نرجع إلى الرواقية اليونانية والأفلوطينية المصرية والبوذية الهندية وبعض القنوات الإسلامية والمسيحية كذلك. وليست هناك مطلقاً نزعة تكفير في التصوف ولكنه السكون والعزلة والهروب إلى عالم القلب ودنيا البوح ولوعة العشق وإرسال الزفرات والآهات في أوقات السحر والتعامل مع الكون بالذوق والحدس والإدراك الباطني وليس بالقياس الأرسطي الصوري على حد قول الجزري:

وي ندي بژنا ته ودايى قياس
حكمتى لو?ويه برهانى غلط!!

فالذي لم ير قامة الحبيبة وقاسها بقياس الحكمة الصورية فإنه اتجه صوب البرهان خطأ..(فقامة الحبيبة لا تقاس بالعقل ولا يبرهن عليها بالقياس الظاهري)

النقطة الثانية من نقاط التشابه هي فلسفة السكر المتمثلة في أزلية الخمرة عند الشاعرين والسكر ملازم لهما في كل ما يرونه وإن الخمرة الإلهية في عرفهما داخلة في كل ذرة من ذرات الوجود فالكون كله مسكر أو الكون كله كأس إلهية تبعث على الدهشة والنشوة وتحرك العاطفة والهيام والجذب والغرام ثم الرقص والتجرد عن الذات والوصول إلى مقام الاتحاد ولا بد ثانية من العودة إلى الخمرة الفارضية التي استشهدنا بها آنفاً:

فإن ذكرت في الحي أصبح أهله نشاوى ولا عار عليهم ولا إثمُ
ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت ولم يبق منها في الحقيقة إلا اسمُ
ولـو عبقَتْ في الشرق أنفاسُ طِيبها وفـي الـغربِ مزكومٌ لعادَ لهُ الشَّمُّ
ولـو خُضِبت من كأسِها كفُّ لامس لـمَا ضَـلَّ فـي لَيْل وفي يَدِهِ النجم
تُـهَذِّبُ أخـلاقَ الـنّدامى فـيّهْتَدي بـها لـطريق العزم مَن لا لهُ عَزْم
يـقولونَ لـي صِفْهَا فأنتَ بوَصفها خـبيرٌ أجَـلْ عِندي بأوصافها عِلم
إلخ الأبيات الرائعة!!

ويقول في مطلع التائية الكبرى مشيراً إلى تلك الحميا التي انتشى بها وإلى ما وراء هذه النشوة من معان روحية وشمائل علوية:

سقتني حميَّا الحبِّ راحة َ مقلتي وكأسي محيَّا منْ عن الحسن جلَّتِ
فأوهمْتُ صَحبي أنّ شُرْبَ شَرَابهم، بهِ سرَّ سرِّي في انتشائي بنظرةِ
وبالحدقِ استغنيتُ عنْ قدحي ومنْ شمائلها لا منْ شموليَ نشوتي

وإذا ما اتجهنا صوب الجزري رأينا النزوع نفسه واللهفة عينها والتعبير ذاته عن لذة هذه الكأس الملكية الخالدة التي تتلألأ في جبين المحبوب وفي عينيه وفي محياه وفي بسمته فتسكر العاشق حتى يرقص رقصاً عشوائياً غير متوازن. يقول مثلاً:

نازكا من دسمايى بسر انكَشت عقيق
دامه إيرو دسرايى قدحك تازه رحيق
مه ژ دست ويدى بيضا قدحك صافي فخوار
(شعشعاني كنجم بسناه وبريق)!!

يقول: إن تلك الرقيقة الحسناء قدمت لي في حلقة الرقصبأناملها العقيقية كأساً من الرحيق الجديد فتناولتها من يدها البيضاء شراباً صرفاً يشعشع كنجم الليل ببريقه ولألائه.

ويقول في موضع آخر:

حتا بنورا باده يى رنكَين نكَي سجاده يى

دوري ژ وى شهزاده يى دردانه يا كَردن ژ عاج!!
أي: ما دمت لا تنور سجادة صلاتك بنور الخمرة وزينتها فستبقى بعيداً عن الأميرة الحسناء التي يشبه عنقها الزجاجي حبة الدر واللؤلؤ..!
أي إذا لم تصل في حبك للمحبوب إلى درجة السكر والهيام فلا معنى ولا قيمة لحبك.!
ويقول في موضع آخر:
عارف حتى ننوشي ژدستى مي فروشي
غائب نه بو ژ هوشي ?يدا نه كر ولايت

أي: إن العاشق الطالب للمعرفة إذا وكم يشرب من يد الخمار ولو يغب عن وعيه فإنه لا يصل إلى درجة القرب والولاية!!!
وعن الخمرة الأزلية يقول:
شاهدي قدسي نشان حسنه ژ رمزا أزل
دامه بدست سرى جام ميا (لم يزل)
أي:
إن المحبوب المرسوم في صفحة وجهه شامة مقدسة والذي جماله أزلي قدم لنا بيد الجاذبية كاس خمرة أبدية.
ويقول: أم قديم باده دنوشين ژ طهور لو مقيم مست وخمار وتلسين
أي: إننا منذ القدم نشرب الخمرة الطاهرة لذا فإننا دائماً مخمورون ومشتتو الحال..
ويقول مشيراً إلى قصة الشيخ الصنعاني الرمزية الذي واصل الأميرة الأرمنية وشرب الخمرة من يدها ورجع بأسمى حالة.
مي نه نوشي شيخ صنعاني غلط أو نه ?و-نيق أرمنستاني غلط

مثل موسى وي تجلايا ته دي اى تو دي كاني خطا هاني غلط؟
فالشيخ الصنعاني لم يشرب الخمرة غلطاً ولم يذهب إلى مملكة أرمينيا خطأً. إنه كالنبي موسى(ع) رأى تجلي نورك فأي خطأ وأي غلط لمن رأى نور ذاتك؟
النقطة الثالثة المشتركة بينهما هي النرجسية وعشق الذات وهي فرع أيضاً من عشقهما للإله فإذا كان الكون كله تجلياً إلهياً من الذرة إلى المجرة ومن العرش إلى الفرش كما يقولون فإن أولى شيء بحبهما لهو ذاتهما. ولم تكن نرجسية الفارضي والجزري نرجسية مرضية بل إنها بناء على أساس وفرع من أصل وامتداد للروح الكلية والعشق الخالد المتأصل في كل الوجود وهي إضافة إلى ذلك نوعٌ من النشوة العليا واعتداد بالذات. يقول الفارضي في لاميته:
نسخْتُ بحُبّي آيةَ العِشق من قبلي فأهلُ الهوى جُندي وحكمي على الكُلِّ
وكُلُّ فَتًى يهوى ، فإنّي إمَامُهُ وإنّي بَريءٌ مِن فَتًى سامع العَذْلِ
ولي في الهوى عِلْمٌ تَجِلُّ صِفاتُهُ ومنْ لمْ يفقِّههُ الهوى فهوَ في جهلِ
ويقول في الكافية:
يحشر العاشقون تحت لوائي وجميع الملاح تحت لواكا
ويقول في الرائية:
قُـل لِـلَّذِينَ تقدَّموا قَبلي ومَن بَعدي ومَن أضحى لأشجاني يَرَى
عني خذوا وبي اقْتدوا وليَ اسمعوا وتـحدّثوا بـصَبابتي بَينَ الوَرى
ولـقد خَلَوْتُ مع الحَبيب وبَيْنَنَا سِـرٌّ أرَقّ منَ النسيمِ إذا سرى
ويقول في التائية:

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحَّبتِ
ولكن النرجسية تظهر عند الجزري في صورة أخرى. هذه الصورة تتجلى في قفل قصائده حيث يدعو الناس إلى قراءة شعره والاستغناء بمواهبه عن قراءة شعراء العجم كحافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي وفرخ زاد وسواهم...فعنده اللؤلؤ المنثور وعنده الكلام الساحر المعجز..فتعالوا لنسمع نبضات النرجسية في قلب شاعرنا. يقول:
تو مه بين بى سر و بى سامانم ?لى باغى إرمى بوهتانم
لريا يارى د ريژا سانم لو د إقليمى سخن خاقانم
أي لا تنظر إلي مفلساً من الثروة والرصيد فأنا وردة في جنائن جزيرة بوطان وإن كنت أعد في صف كلاب الحبيبة لكني الملك خاقان. في مملكة الكلام وعالم البيان.
ويقول منبهاً إلى مواهبه البارعة:
كر لؤلؤى منثور ژ نظمي تو دخوازي ور شعرى ملى بين ته به شيراز جه حاجت؟
أي إذا كنت تطلب اللؤلؤ المنثور من الشعر المنظوم فتعال وانظر شعر (الملا) ودع عنك الشيرازي فلا حاجة لك إليه....
ويقول في المسار ذاته:
د إعجازى بيانى دا سخن كر بيته إنصافى
دزانت مختصر هر كس ملى سحره عبارت كر
وهذا القول عطف على المعنى السابق قريب من ينبوعه النرجسي..وصفوة القول: إن النرجسية عندهما ثقة بالنفس واعتزاز بالروح واعتداد شديد بالذات وليست غروراً أو تعالياً أو تكبراً على البشر من حولهما.
وهناك نقاط تشابه فرعية في القيم الوجدانية والصور البيانية والاقتباسات من النصوص الدينية وتطعيم المعاني الشعرية برموز من اللغة والنحو والفقه وعلم الكلام وما إلى ذلك.
ومن هذا القبيل قول ابن الفارض:
كهلال الشك لولا أنه أنٌ عينى عينه لم تتأى
فى هواكم رمضان عمره . ... ينقضى ما بين إحياء وطى
ويقول مستخدماً المسألة النحوية في قضية وجدانية:
نصبا أكسبنى الشوق كما . ... تكسب الأفعال نصبا لام كى

وقوله في التائية الكبرى:
وليس ألست الأمس غيراً لمن غدا وجنحي غدا ليلي ويومي ليلتي
وأخمد إبراهيم نار عدوه وعن نوره عادت له روض جنة
ويوسف إذ ألقى البشير قميصه على وجه يعقوب إليه بأوبة

ومن ذلك اللهفة والشوق والعرام الدائم والغرام اللازم إلى لقاء المحبوب ورؤية وجهه الدري واعتبار محياه كأساً مرة وإشراقاً لدنياً مرة. يقول:
مَـن لي بإتلاف روحي في هوَى رَشَإٍ حُـلْوِ الـشمائل بـالأرواحِ مُـمتَزِجِ
وإن ضَـلِـلْتُ بـلَيْلٍ مـن ذوائِـبهِ أهـدى لـعيني الهدى صُبحٌ من البَلجِ
تـبـارَكَ الـلَّهُ مـا أحـلى شـمائلَهُ فـكمْ أمـاتَتْ وأحْـيَتْ فيه من مُهَجِ
انْـظُر إلـى كـبِدٍ ذابت عليكَ جَوىً ومُـقْلَةٍ مـن نـجيعِ الـدّمع في لُجَجِ
ويقول متلهفاً:

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرفِ
واسأل نجوم الليل هل زار الكرى جفني وكيف يزور من لم يعرف
وحياتكم وحياتكم قسماً وفي عمري بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحي في يدي ووهبتها لمبشري بقدومكم لم أنصف

وبالتماثل من الفارضي نجد الجزري يعيش اللهفة ذاتها والحرقة عينها ويتطلع إلى رؤية إصبع من أصابع يدها البيضاء تلوح له بالوصال ولو بالوعد أو بالخيال. يقول عاشق الجزيرة:

ژ وادي أيمني دلبر نزام أنكَشتك إظهار كر
كو خوش أنوار وبرقن أو تجلا بون د طوريدا

ويقول:

كر ژ وى حور سرشتى عشوه يك إظهار بت
دى ببت نار خليل الله ودژه سار بت

أو يقول:

د مابينا دو أبرويان دبينم قاب قوسينى
ددت من طرفة العين جوابا سد سؤال أبرو

وقد راينا من خلال استعراض معانيه الوجدانية صوره البيانية واقتباساته القرآنية بوضوح.

ولننتقل الآن إلى: أوجه الاختلاف والتفارق بين هذين العلمين المرفوعين فوق سماء الأرواح العاشقة والقلوب المتلهفة إلى عنان المطلق!! ونقاط التفارق تتلخص في أربعة جوانب:

1- النفس الحضري عند الجزري واصطلاحات القاموس الأرستقراطي يقابل ذلك النفس البدوي العربي الحجازي عند ابن الفارض.

2- التعبير عن النشوة بالرقص في مواطن كثيرة جداً عند (الملا) بينما نجد غياب التعبير عن النشوة بالرقص عند الفارضي.

3- تأثير الثقافة الفارسية على (الملا) مع الثقافة الدينية عبر الرموز القصصية القرآنية أما الفارضي فمتأثر أساساً بالثقافة العربية القرآنية ومصطلح الحب العذري البدوي العفيف الناضح باللهفة والحرمان والشوق والهجر واللوعة المقدسة.

4- عاش أبو حفص الفارضي في العصر الأيوبي بالقاهرة وقضى خمسة عشر عاماً في مكة المكرمة بجوار الحرم الشريف ولذلك تأثيره على توجهاته الوجدانية في الشعر. أما الملا فقد عاش في العصر العثماني بجزيرة بوطان في ظل الأمير شرفخان البدليسي ولذلك تأثيره الخاص بطبيعة الحال وإيحاءاته وأصباغه وظلاله المختلفة على مواهبه ولغته وخياله. لكنهما يظلان فرسي رهان يشقان المضمار شقاً فكل يحمحم ويصهل ليصل صهيله إلى قبة الفلك اللازوردية ولا يشتكيان مرة من الحفي أو الوجى ولا يتعثران بأحجار الطريق يحدوهما الشوق والأمل وتتلألا أنوار جبين المحبوب أمام ناظريهما في الأفق أنساً وقرباً أو صداً وجفاء ةكلا الأمرين لذيذ مقبول عندهما لأن فلسفة العشق الصوفي قائمة على: (كل شيء من الحبيب حبيب..وكل شيء من الجميل جميل).

فمن النقطة الأولى نجد قصائد الجزري تعج بأسماء الورد الإيرانية: الياسمين والبنفسج والبلازيز وسواها ويتكرر فيها ذكر السراي(القصر) والشاه والشهنشين والشهزاده وما إلى ذلك ويذكر الرقص(سما)

بالمصطلح الإيراني..فضلاً عن أن الجزري عشق في طور المجاز أي الحب الصوري للأميرة سلمى بنت الملك الكامل حاكم (حصن كيفا) في العصر العثماني وهذا يضفي على عشقه نفساً حضارياً أنيقاً مترفاً أما الفارضي فغارق في المصطلح الحجازي العذري البدوي العفيف في كل قصائده بلا استثناء ولنأت بأمثلة على ذلك ففي مطلع يائيته الراقصة يقول:

سائق الأظعان يطوي البيد طي منعماً عرج على كثبان طي

وبذات الشيح عني إن مررت بحي من عريب الجزع حي

وفي التائية الكبرى والصغرى تزدحم أسماء الأماكن في الحجاز وأسماء النباتات الصحراوية ومصطلحات الحب العذري المحروم وفيما استشهدنا به في المواقف السابقة كفاية لمن يتذكر.

والنقطة الثانية من نقاط التفارق هي انفراد الملا بالتعبير عن النشوة الروحية بالرقص والرقص مرافق للمصطلح الجزري كثيراً جداً وتغيب هذه الظاهرة عن المصطلح الفارضي بصورة شبه تامة. وللجزري قصيدة كاملة عن فلسفة الرقص في العشق مطلعها:

سلوا سهي قد خملي لو كملي مستانه رقص

ور صحبتى كَر قابلي دى بيت ورت شاهانه رقص

مستانه مستان نوشه نوش قرقف د جامان هاته جوش

ما دى بمينت كس لهوش وقتى كو بين دردانه رقص؟

وترجمة الكلام:

إن الحبيبة التي تشبه شجرة سرو مستقيمة قد تزينت ليكتمل بذلك الرقص الملكي فتعال أيها العاشق إلى مجلس المنادمة إن كنت متأهباً لذلك وأهلاً له حتى تبصر الرقص الملكي في حركة ذهابه وإيابه. وإن الخمرة قد اضطرمت في الكؤوس والسكارى يتجرعون المدامة شربة بعد أخرى فهل يبقى بعد هذا أحد على وعيه وعقله عندما تحضر حلقة الرقص تلك الحسان المشبهات لحبات الدر واللؤلؤ؟

ويقول:

أز ?ومه سرايى كو شرين قد د سمايى

كو أق نه ملايى مه يه بى برده بلا بى

ويقول:

ور كوه ده جنك ونايى شرين كو بين سمايى

جامى بنوشه فيران جه ساده وجه زركش

أما النقطة الثالثة وهي تأثير الفارسية والخيال الأدبي الإيراني مع الرموز الدينية القرآنية فلا نحتاج إلى برهان لأن القارئ يكاد يلتقط الدليل في كل زاوية من حدائق ديوان الجزري. وقد ألمحنا إلى النفس الحجازي العذري البدوي للفارضي وقد تم البرهان على ذلك ضمناً مما مضى.

النقطة الأخيرة وهي اختلاف العصرين فذلك موضع استغراب حيث لا يلحظ تأثير الحضارة القاهرية في شعر ابن الفارض وليس لأحداث المقاومة الإسلامية للغزو الفرنجي في العصر الأيوبي أي أثر لدى شاعرنا. أغلب الظن أن مرجع ذلك إلى هيامه في العشق الصوفي وتعلق روحه بالحجاز ثم شخوصه إلى هناك ومكوثه في جوار الحرم المكي خمسة عشر عاماً بتمامها

وهنا تزول الغرابة في عدم إشارة ابن الفارض في شعره لا من قريب ولا من بعيد إلى بطولات صلاح الدين في حرب الفرنجة وخوضه معركة حطين وما تلا ذلك من أحداث جسام غيرت مجرى التاريخ.
أما الملا فيعبر مباشرة عن بيئته البوطانية ويأتي بمفردات كثيرة تدل على المناخ الاجتماعي والجغرافي والسياسي فيذكر مثلاً الأمير خان شرف ويذكر الفتوحات العثمانية لبلاد الفرنجة كالمجر والآستانة وغزو بلاد العرب والعجم في قصائد متفرقة من ديوانه منسجماً مع مقولة النقاد: الأدب مرآة البيئة.
تلك خلاصة نقاط الاختلاف والتفارق, وتلك كانت رحلتنا السريعة الخاطفة مع شاعرين عاشقين من شعراء الشرق وعشاقه الإلهيين المتلهفين إلى عناق الحبيب البعيد القريب الحاضر الغائب. شاعرين لم يكفا عن التغريد في فضاء البوح والحب الإلهي متهافتين أبداً على سراج العشق كتهافت الفراشات حتى يرتميا في أحضان المحبوب الدافئة ويحترقا ويحرقا من حولهما أيضاً.

ملى كرد. المحب عبد الوهاب الكرمي

وحرره العبد الحزين المشتاق إلى أهله الطيبين وبلده الأمين جان دوست. في المحروسة بوخوم من بلاد الألمان. مقاطعة شمال الراين. يوم الثلاثاء في السابع والعشرين من شهر آذار الميمون من عام 2012 بعد ميلاد سيد المتصوفين المسيح بن مريم الموافق للرابع من جمادى الأولى عام 1433 بعد هجرة النبي الأمي محمد بن عبد الله القرشي.